

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

المجازاة .

والشكر من أكبر أبواب الأمانة وأبعده من أسباب الخيانة ولن يبلغ أحد في ذلك غاية المجد إلا بمعونة الطمع وإلا الحرب سجال بينهما والظفر مقسوم عليهما .
كذلك حكم الأشياء إذا تساوت في القوة وتقاربت في بلوغ المدة .
وقد زعم ناس أن الشاكر والمنعم لا يستويان كما أن البادئ بالظلم والمنتصر لا يعتدلان لأن البادئ أخذ ما ليس له والمنتصر لم يتجاوز حقه الذي هو له ولأن البادئ لم يكن مهيجا على الظلم بعلة جناها المنتصر والمنتصر مهيج على المكافأة بعلة جناها البادئ والمثور للطباع المغضب والمستخف المهيج أعذر من الساكن الوداع المطمئن .
فلذلك قالوا إن البادئ أظلم والمنتصر أعذر .

وزعموا أن المنعم هو الذي أودع صدر الشاكر المحبة بإنعامه عليه وهيجه بذلك على مكافأته لإحسانه إليه فقد صار المنعم شريك الشاكر في إحسانه وتفرد بفضل إنعامه دون مشاركة غيره والمنعم هو الذي دفع للشاكر أداة الشكر وأعاره آلة الوفاء فهو من ههنا أحق بالتقديم وأولى بالترفضيل .

هذا وقد قال الحكماء والأدباء والعلماء من تمام كرم المنعم التغافل عن حجه والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته لأن الحاجة مغالبة ولا تتم مودة إلا مع المسامحة .
ولذلك قال الربيعي لناس من العرب يختصمون هل لكم في الحق أو خير منه قالوا قد عرفنا الحق فما الذي هو خير منه قال التغافل فإن الحق مر .

ألا ترى إلى بنت هرم بن سنان لما قالت لابنة زهير بن أبي سلمى في بعض المناجات أو في بعض المزاورات إنه ليعجبني ما أرى من حسن شارحكم ونقاء نفحتكم .

قالت ابنة زهير أما وإٍ لئن قلت ما قلت فما ذلك إلا من فضول ما وهبتم ومن بقايا ما أنعمتم .

قالت بنت هرم لا بل لكم الفضل وعلينا الشكر أعطيناكم ما يفنى وأعطيتمونا ما يبقى .
وقيل لعبد إٍ بن جعفر حين أجزل لنصيب الشاعر في الهبة وكثر له في العطية أتئيل هذا العبد الأسود كل هذا النيل وتحبوه بمثل هذا الحباء فقال عبد إٍ بن جعفر أما وإٍ لئن كان أسود الجلد إنه